خيانة بعد صداقة
قصة
خيانة بعد صداقة
الكاتب
همام زكريا طالب
الناشر: موقع جنسترا الالكتروني
2009_1430

قصة خيانة بعد صداقة

كتبها هُمام زكريا طالب

٧-ذو الحجة-١٤٣٠هـ

٢٤-١١-٢٠٠٩م

تصميم الغلاف

المصمم الجرافيكي محمد حسين شريف

كلماتي

تكثر في هذه الأيام، عادات جاهلية قديمة أبطلها الإسلام من جذورها حتى قمتها، لكن بعض الناس ظلّ معهم بذور هذه العادات حتى الآن، فيغويهم الشيطان الرجيم الذي يؤدي إلى زراعة هذه البذور مرة أخرى، فيصعب اقتلاع شجرة العادة الجاهلية إلا بأيدي قوية الإيمان، فمثلاً: الخيانة، هذه البذرة من بذور العادات الجاهلية التي تؤدي إلى فقد العلاقة بين صديقين حميمين عاشا طوال عمرهما سعيدين، إلى أن تدخّل الشيطان في أحدهما، فجعله يزرع هذه البذرة بينه وبين صديقه إلى أن نمت وفقد كل منهما الآخر، فراح أحدهما متفاجئاً من فعلة صديقه، فأُحبطت نفسيته وصار شبه مجنون في الخارج، لكنه منتصرٌ وفائزٌ في الداخل، أما الآخر فأصبح سعيداً ومنتصراً من الخارج، لكنه عديم الضمير، وميتُ القلب في الداخل، فزاد في السعادة المزوّرة الغير حقيقية، وحتى لو استمر على هذه الحال لكنه سيواجه يومٌ تنقلب فيه ما يتوقعه الخائن، وأيضاً لو تعذب الأمين قليلاً، وحتى لو أهينَت كرامتُه، وصارت الحياة كلها ضده، سيأتي يوم وينتصر على الخائن.

ففي هذه القصة، ستجد ما يحدث في هذه الأيام التي يُباع فيها الأمين، لسعادة لا تساوي سعادة الوجدان والضمير، وسعادةٌ للحصول على الأمور المادية الغير المعنوية، فتلحِقُ الأذى والشر على الأمين، فيلبث في العذاب الأليم، ويوضع في المكان اللعين، فيزداد على حاله إلى أن يموت ميتة لا معروف عنها في القديم.

أما عن أصدقاء الخونة، فهم الذين يدفعون الخونة إلى فعل ضار، يحسبونه خير لهم، لكنه عكس ذلك تماماً عندما يجدون مخططاتهم فشلت، وكل أمانيهم تكسرت، فتحبط نفوسهم كلها إلى الأبد.

لقد اخترت نهاية للشر وهي السعادة المزورة الغير أبدية، واخترت للخير نهاية هي الموت، لأُظهر الشر على حقيقته أمام الناس، وما يفعله مقابل متاع الدنيا الذي لا يُستفاد منه أبداً، أما الخير يُعذب في الدنيا قليلاً، لكنه يفوز في الآخرة كثيراً، والعكس ينطبق على الشر.

أهدي هذه القصة إلى يمتلك قلباً ميتاً، وأدعوه أن يقف قليلاً ويفكر فيمن خانهم، أو يفكر بمن سيخون، ويسأل نفسه: هل الذي أفعله أو الذي سأفعله يتقبله المجتمع؟ هل يتقبله الناس جميعا؟ ضميري؟ نفْسِي؟ ماذا سأقول عندما أواجه ربي –عز وجل- في يوم القيامة؟، أجعل هذه القصة نصيحة للناس أجمعين بأنهم لا يفكروا لحظة واحدة بالخيانة ولا بأي فِعْل شر لهم وللناس أجمعين.

هُمام زكريا طالب

(١)

يُحكى أن هناك صديقين حميمين، تضرب صداقتهما مثلا في الحب والود ، بدأت صداقتهما منذ الطفولة إلى أن أصبحا في الخامسة والعشرين من العمر، حينما تذكر أحدهما وكان يسمى عامر صديقه زيداً في أحد الأيام.

كان عامر قد اتجه إلى الجنوب من البلد، وزيد اتجه إلى الشمال، وكل منهما حصل على وظيفة تناسب حالته وقدراته، وكل فترة من الفترات كان أحدهما يزور الآخر ليطمئن على صحته وعافيته، وكان هناك اتصالات فيما بينهما من حين لآخر، ملئت الحياة بينهما الفرح والسعادة، فقد كانا يمزحان ويمرحان، ويلعبان حينما يتذكران أيام الطفولة البريئة الممتلئة باللهو واللعب.

اتصل عامر بزيد ليزوره، فجرى بينهما هذا الحوار:

عامر: مساء الخير يا زيد، كيف حالك؟

زيد: مساء الخير أنا بخير، وكيف حالك أنت؟

عامر: أنا بخير والحمد لله، ماذا تفعل في هذه الأيام؟

زيد (يصمت برهة فيقول): ماذا يسعني أن أقول لك؟

عامر: خير إن شاء الله أخبرني ما الذي يحدث لك؟

زيد: لا تقلق، إنها مسألة بسيطة وتُحل.

عامر: قل لي ما هي؟.

زيد: إنني أنوي شراء سيارة، وقد جمّعت بعض المال لها، لكن ينقصني القليل، وراتبي لا يكفي لشرائها بسرعة، وأنا أحتاجها ضرورياً.

عامر: لقد أخفتني، إنها مسألة سهلة جداً، وقد اتصلت بك حتى آتي إليك لأن دوري قد حان لآتيك، وسيكون معي ما تحتاجه من مالك.

زيد: جزاك الله كل خير يا صديقي.

عامر: أدامك الله يا زيد، ولكن ماذا تحتاج من المال؟

زيد: إني أحتاج خمسة آلاف.

عامر: لك هذا، حسناً موعدنا بعد غد إن شاء الله تعالى.

زيد: شكراً لك يا صديقي العزيز، وأنا بانتظارك، فأهلاً وسهلاً بك متى شئت، وسيكون هذا دين علي لك.

وأغلق عامر سماعة الهاتف وهو يفكر في هذا الأمر هل يعطي مالاً لزيدٍ؟ أم لا؟

(٢)

طلعت شمس اليوم التالي، وعامر لم تنم عينه طوال الليل وهو يفكر كيف له أن يحصل على المال، لكي يعطيه لأعز صديق عنده زيد، هل يترك صديقه على حاله ولا يعطيه أي شيء؟ أم يلبي حاجة صديقه ويعطيه المال؟ لكن كيف له أن يعطي صديقه مالاً وحاله ميسورة جداً؟ هل يسرق؟ هل يستدين؟ كثرت الأسئلة وكلما يخرج من سؤال، يأتيه سؤال آخر فيفكر بالإجابة، (رأسي يوجعني) هكذا قال عامر لنفسه عندما قطع أفكاره الممتلئة بالتساؤلات التي ليس لها نهاية.

أما زيد فهو سعيد، لأن صديقه عامر سيأتي إليه من جهة، ومن جهة أخرى سيشتري سيارة بالمال الذي سيأتي به عامر، وبالمال الذي جمعه، فيدع أيام الرجاء والدنو عن أصدقائه في العمل حينما يوصلوه في سياراتهم.

جهز زيد بيته على أكمل وجه، لاستقبال عامر في اليوم التالي، فنظف البيت، ومسح الأثاث كله، وأزال الغبار المتراكم منذ سنوات في نزله، وهو سعيد بنفسه، ويقول في نفسه: (قبرنا الفقر القديم للأبد)، أي أن السيارة في نظره هي مصدر الغنى للإنسان.

- هل ستتحقق أمنية زيد أم تبقى أمنية لا تُحقق؟

(٣)

ذهب عامر لعمله وهو يفكر في نفس الموضوع، وكان يخطئ في عمله ويفشل، وهو ليس مركزاً في عمله، إذ أنه كان يوقع الملفات والكتب من الرفوف عندما يأخذها منه، وتكررت مرات عدة فرآه صديق له يسمى فادي، فسأله فادي: ما بك اليوم يا عامر؟

فأجابه عامر: لا شيء ضروري، لا تشغل بالك بي.

فادي: قل لي وأنا حاضر لكل ما تحتاجه. فقص عامر على فادي ما جرى له بالأمس بينه وبين زيد، فقال فادي: إذاً هذه هي القصة، خذ هذا هو المال الذي تحتاجه.

ويأخذ عامر المال، فيقول: جزاك الله كل خير يا فادي، سأرد لك المال بأقرب وقت إن شاء الله.

ثم يذهب عامر وهو سعيد إلى مكتب المدير ليأخذ إجازة يمضيها مع زيد، فوافق المدير على ذلك بعدما أقنعه عامر أن العمل في هذه الأيام ليس بالكثير ولا بالوفير. ثم خرج عامر من المكتب إلى بيته ليجهز نفسه للذهاب إلى زيد في اليوم التالي. أما زيد فمازال سعيداً طوال الوقت، ولم يذهب إلي عمله، فقد اتصل بصديقه وأعلمه أنه لن يأتي اليوم للعمل. وأخيراً نام بعد انتهائه من عمل البيت، فحلم أنه اشترى سيارة ويدور بها في أنحاء المنطقة.

- تُرى ما الذي سيحدث بعد ذلك مع عامر وزيد؟ وكيف سيذهب عامر إلى زيد؟

(٤)

أصبح اليوم الموعود، وعامر وزيد في نفس الحالة كل منهما سعيد أنه سيلتقي الآخر بعد مدة طويلة من الزمن، فعامر نجح في الحصول على المال لكي يعطيه لزيد، وزيد سعيد بأنه سيشتري السعادة بعد الانتظار الطويل للأبد. قام عامر بالذهاب إلى محطة القطار، لأنه يفضل القطار مقابل أي وسيلة أخرى للتنقل، فركبه وجلس بجانب النافذة وصار يتأمل إلى أروع طبيعة، وأحلى تضاريس في البلاد التي على جانبي الطريق، وكان معه كتاباً مازال لم ينتهِ من قراءته، فأخذه لينتهي منه، فيقرأ قصته لزيد، لأنهما يتسابقان في القراءة، وكل واحد منهما يشتري كتاباً جديداً ثم يقصه على الآخر وقتما ينتهي من قراءته، أما الكتاب فكان يتكلم عن أسد ونمر كانا صديقين حميمين، وانتهت صداقتهما بخيانة النمر للأسد في آخر القصة، فقال عامر في نفسه:(كيف لهذا النمر المقدرة على خيانة صديقه؟) . كان الطريقُ طويلاً، ومازال عامر على حاله متأملاً للطبيعة، وكان قد جلس بجانب عامر رجل كبير السن، كان يدخن سيجارة، فانتبه إليه مشرف القطار، فنبهه أن التدخين ممنوع في القطار، ولكن هل يرد عليه بعدما دام تدخينه أربعين سنة؟ فما كان من جواب الرجل إلا وقال له: إن سيجارتي هي حياتي، فإنْ أقلعتُ عنها سيقترب مماتي. لم يقتنع المشرف من كلامه، فكلنا يعلم أن التدخين هو الذي يؤدي إلى الموت وليس الإقلاع عنه هو الموت، فأخذ المشرف سيجارة الرجل من يده ورحل، فغضب الرجل من فعل المشرف، فتدخل عامر في الأمر، ونصحه أن المشرف معه حق، وأعطاه حبة مهدئ كانت معه في حقيبته الشخصية، وقد أقنع عامر الرجل العجوز بأنه طبيب، فنام بها الرجل ليهدئ أعصابه، ويؤجل تدخينه حتى النزول من القطار. بعد مرور ساعتين ونصف من الوقت، وصل القطار إلى الشمال، بعد الكثير من الانتظار والشوق، والتأمل والمطالعة.

- كيف سيكون اللقاء بين عامر وزيد؟

(٥)

بعد النزول من القطار، أتت أسئلة تدور في ذهن عامر، وهو يحمد الله على تيسيره للظروف، كيف له أن يرى زيداً بعد وقت طويل؟ هل تغير زيدٌ؟ أم أنه بقي على حاله الماضية التي رآه عامر فيها؟ الكثير من الأسئلة تدور في ذهنه الآن، وكلما أصبح سعيداً أتته فكرة خربت عليه حاله، (ولكن سأظل سعيداً وسأهمل أسئلتي لوقت آخر) قالها عامر مقاطعاً أسئلته. صار يتمشى في طرق منطقة الشمال، ويلاحظ الفرق بين منطقته وهذه المنطقة، من نباتات مزروعة على الرصف، وناس، وأسواق، حتى الهواء يشمه، وهو يقول:(إنه غير الهواء الذي أعتدتُ على شمه). لم يتأخر كثيراً في مشيته، وأوقف سيارة أجرة، لتوصله إلى بيت زيد المتواضع، لأن عامراً يعلم أن صديقه زيد على أحر من الجمر جالساً ينتظر وصول عامر، وعندما وصل إلى بيت زيد طَرَقَ الباب وقلبه ازداد في نبضاته أكثر، شيء ما يجعل قلبه يزداد في نبضاته، ولكن ما هو؟ إنه الشوق، ففتح زيد الباب بعد استنشاقه استنشاقاً أشبع كل خلاياه من الأكسجين، وعندما نظر كل واحد منهما إلى الآخر، وقفا لبرهة من الزمان، وقال عامر وهو مفاجئا: لقد تغيرت عليّ يا زيد، فرد عليه زيد: زاد انتظاري لك يا عامر، فضما بعضهما بعضاً، وكل واحد منهما لا يصدق الآخر أن هذا الذي يضمه هو صديقه.

- ما ردة فعل زيد لعامر بعد الكثير من الانتظار؟

(٦)

أدخل زيد عامراً إلى بيته، وكل منهما سعيد بالآخر بعد الاشتياق والانتظار، ثم تحاورا وتناقشا عن الأحوال العملية والشخصية لكل منهما، وكيف الرحلة؟ وما هي الصعوبات التي واجهت عامر في رحلته؟ ثم بعد هذا وذلك استأذن عامر زيداً في الخلود إلى النوم، لأنه كثير التعب والإرهاق من الرحلة الطويلة. بعد مضي ساعتين من الزمان، استيقظ عامر من نومه العميق الذي أخرج من جسمه كل التعب والإرهاق، فوجد زيداً قد جهّز طعام الغداء وهو ينتظره، فأكل عامر طعاماً لم يأكل في أيام الجنوب مثله قط، فقال عامر وهو مستغرب: ما شاء الله طعامك لذيذ!، فقال زيد وهو مبتسمٌ: إني أجيد الطبخ، ولكني لا أطبخ كثيراً حتى لا أعتاد عليه، ثم بعد الزواج أنا أطبخ وزوجتي تأكل، فضحك عامر ضحكة من القلب جعلته يجدد عمره من جديد، وبعد الانتهاء من الأكل، جلسا ليشربا شاياً أحمراً، ودار بينهما نقاشاً فوصلا للنهاية إلى أمر المال، فقام عامر إلى حقيبته التي ملأها من أغراض وثياب، فأخرج منها كيساً أسوداً معبئاً من المال، ثم أعطاه لزيد، وهو يقول: خذ هذا المال الذي طلبته مني،فقال زيد: جزاك الله كل خير، لكن لولا الحياء لكنت سارقاً وناهباً لأكبر مصرف في البلاد،

عامر: لا تقل هذا الكلام، لأن الله يُمهل ولا يُهمِل.

زيد: صدقت وإني أستغفر الله العظيم من هذه الأفكار الشيطانية، ما رأيك أن نخرج لأعرفك على معالم هذه المنطقة؟، في الأسبوع الماضي أُفتتح مركز تسوق ضخم، وأود أن نذهب مع بعضنا إليه لكي نتعرف عليه.

عامر: بعد قليل أريد منك أن تجلس، لأحكي لك حكاية هذا الكتاب الذي قرأته في القطار.

زيد: أجّلْ حكاية الكتاب فيما بعد، هيا قمْ لنذهب إلى مركز التسوق، ونشم هواءً نظيفاً.

عامر: أتقصد من كلامك أن أؤجل حكاية الكتاب للعودة من المركز؟.

زيد: بالضبط، لأنه بعد القليل من الساعات سيتأخر الوقت، وأنا لا أحب أن أظل في الخارج لساعات متأخرة من الليل.

عامر: حسناً لك هذا هيا فلنذهب.

فذهبا معاً إلى مركز التسوق، وروّحا عن نفسيهما، وقضيا وقتا جميلاً مع بعضهما.

- وبعد أخذ زيد النقود، ما الذي سيفعل به؟ هل سيشتري سيارة؟ أم لا؟

(٧)

بعد العودة من خارج المنزل، جهزا معاً طعام العشاء، لأنهما يحبان طعام العشاء قبل النوم مباشرة، فتعشيا عشاءً خفيفاً لا يُشبع فتى صغير، ثم ناما بعد سهرة مضت حتى بعد منتصف الليل. وفي اليوم التالي، وبعد العصر جهّز عامر أغراضه للرحيل إلى بيته بعدما أمضى أحلى يوم مع زيد لن ينساه أبداً، فقال لزيد: إنه دورك للمجيء، لا تتأخر بالإتيان إليّ، إنني أنتظرك،

زيد: لن أتأخر أبداً إن شاء الله تعالى، سآتي بأقرب وقت.

ثم ودّع عامر زيداً بضمة استغرقت أطول من الماضية، كأن عامراً أحس بأن زيداً سيصيبه ظرف بعدما يرحل، فلا يراه مرة أخرى، فذهب عامر إلى محطة القطار، وصعد القطار وهو حزين ليس لأنه رحل من عند زيد فقط، لكن قلبه يشعره بأنه لن يرى زيداً مرة أخرى، فتمنى أن قلبه يخونه ولو لهذه المرة فقط، لأنه صديق وفيّ لصديقه للأبد، فأحس أن رحلة العودة إلى البيت أطول من رحلة الذهاب إلى زيد، بسبب كثرة الأوهام والخيال الطويل اللذان ازدادا في العودة، فتألم من رأسه، لهذا شرب هو حبة المهدئ فنام. وبعد مضي ساعتين ونصف من الوقت، وصل القطار إلى الجنوب، فأيقظ رجل عامراً كان بجانبه، ثم نزل من القطار، فذهب إلى بيته، أما زيد فهو الآن في كامل سعادته الأبدية التي وُلدت من كيس المال، ولكن تحير ما نوع السيارة التي سيشتريها؟

هل يشتري سيارة بكل المال؟ أم يشتري سيارة بجزء من المال والباقي يحفظه معه؟ تحير كثيراً، وفي اليوم التالي، استشار زيد أصدقاءه بأنواع السيارات، لأنه جاهل في مسألة السيارات والمواصلات، وأخيراً بقي صديق ثري له في العمل، فسأله عن أنواع السيارات، لأنه أكثر خبرة من غيره في هذه النواحي، وكان يُسمى رعدٌ، فسأله زيد: ما هي آخر أخبار السيارات الجديدة؟

رعد بعد ضحكة مفتخراً بنفسه، ويقول: ولماذا تسأل وكلنا يعلم أنك لا تستطيع شراء سيارة؟

زيد: إن زيداً القديم قد ذهب، وأتى زيدٌ يختلف عنه.

رعد: قل لي ما حدث لك؟

فقص زيد قصته مع عامر والمال،

فقال رعد: إذاً أنت تملك مالاً كثيراً، وتنوي أن تشتري سيارة جديدة، وتريد مشورتي.

زيد: بالضبط، هيا ساعدني لكي أشتري سيارة جديدة.

رعد: إني لا أنصحك بشراء سيارة جديدة، لأن أسعار السيارات مرتفعة في هذه الأيام، ولكن عندي حل أفضل من شراء سيارة.

زيد: قل لي، تكلم ما هو الحل؟

رعد: إن عندي صديق مدير شركة لصنع السيارات في خارج البلاد، وعلاقتي به قوية، فما رأيك؟

زيد مقاطعاً: هل تقصد أنني أذهب إليه، وأن أكون واسطة بينك وبينه، وأشتغل في شركته؟

رعد: ها أنت فهمت قصدي، فما رأيك؟ لا تنسَ أنه سيدللك عندما يعلم أنك من طرفي.

زيد: لا أريد، طبعاً إنني غير موافق لهذا.

رعد: ألا تريد الرفاهية والراحة للأبد؟ ألا تريد السعادة الخالدة لك؟

زيد: نعم، ولكن ليس بهذه الطريقة التي.....

رعد مقاطعاً: لا تجاوبِ الآن، اذهبْ وفكرْ بهذا الموضوع اليوم في البيت، وغداً أعطني الجواب الشافي.

زيد: حسناً موافق للتفكير، وغداً لك جوابي.

- هل سيوافق زيد على رأي رعد؟ أم أنه سيظل مصمماً على شراء السيارة؟

(٨)

ظل زيدٌ يفكر في أمر السيارة من جهة، وفي أمر صديق رعد من جهة أخرى، تفكيراً طويلاً حتى وهو يأكل غداءه ثم عشاءه، ومازال يفكر بأمرين معاً في نفس الوقت، فقام للهاتف طالباً رعد ويكلمه.

فقال زيد لرعد بعد التحية والسؤال عن الحال: ما طبيعة العمل الذي سيختاره لي صديقك؟.

رعد: عملٌ وراء مكتب، وخلفك مكيف هوائي، وتشرب شاياً، ولا تعمل شيئاً، ثم في آخر الشهر تأخذ راتبك وأنت لم تحرك ساكناً، ولا تنسَ أن الراتب الذي ستأخذه ثلاثة أمثال الراتب الذي تأخذه هنا.

زيد: هل تمزح معي؟! ولماذا لم تذهبْ أنت وتعمل وتعرف كل هذه الأشياء؟.

رعد: إني أقول الحقيقة بعينها، وهنا لا يوجد مزاح في هذه الأمور، أما عن عملي معه فكنت أعمل معه منذ خمس سنوات، ولكنني شبعتُ من الراتب الشهري، فقدمتُ استقالتي له، وإني أنصحك أن تفعل مثلما فعلت معه.

زيد: أتقصد من ذلك أنني أكون خواناً لصديقك؟!.

رعد: إنني أتعجب من كيفية فهمك لي!، أنا لا أقصد الخيانة، ولكن قلتُ إنني شبعتُ، وماذا أفعل بعدما شبعت؟ بالتأكيد سأرجع إلى بلدي.

زيد: لقد أقنعتني مائة بالمائة، سأجرب وأسافر إلى هناك، ولكن لا تنسَ أن تتصل بصديقك وتتفق معه لشأني.

رعد: الحمد لله الذي هداك إلى الصراط المستقيم، لا تقلق في شأن السفر، سيكون كل شيء من حساب صديقي أيضاً، بعدما أتصل به لأمرك.

زيد: شكراً لك لقد عذبتك معي جداً. أما عامر في هذه الأوقات، يتصل بزيد ويجد خطه مشغولاً، وأخيراً رد عليه زيد، وقال عامر: السلام عليكم، ما بال خط هاتفك مشغول؟

زيد: لا شيء ولكنني كنت أتحدث مع صديق لي في العمل، وتحدثت معه بشأن العمل غداً في القسم، قل لي هل وصلت إلى البيت بخير وسلامة؟.

عامر: الحمد لله لقد وصلت بخير وعافية، ولم أتعرضْ لأي مشكلة مستعصية في الطريق.

زيد: الحمد لله، أعذرني يا عامر أريد أن أخلد إلى النوم، لأن عملي غداً إن شاء الله تعالى سيكون طويلاً، وأريد الاستيقاظ باكراً، تصبح على خير.

عامر مستغرباً: تصبح على خير، نوماً هنيئاً. ويغلق عامر سماعة الهاتف وهو متعجباً من فعل زيد له، لأنه أول مرة يفعل معه مثل هذا الفعل كأن زيداً يلحقه رجلٌ معه عصا ليضربه، ولكن زيداً يفرح مع رعد، ويخبئ فرحه أمام عامر، فيقول زيد في نفسه: الحمد لله سأُرزق بسيارة مجاناً، بفضل الله تعالى ثم بفضل رعد وصديقه.

وتناسى زيدٌ أن يقول لعامر عن أمر رعد، ولقد كذب زيد على عامر، ولم يفتح له هذا الأمر.

فهل ستتحقق السيارة المجانية لزيد؟ أم أنها خدعة من خدع رعد الثري؟ وماذا سيحدث مع عامر؟

(٩)

مرت ساعات اليوم الماضي، وحل يوم جديد، وذهب زيد للعمل وهو مشتاق لرؤية رعد بأحر من الجمر، وعند رؤيته له...

قال زيد: ماذا حدث مع صديقك من أجل عملي معه؟.

رعد: لقد تحدثتُ معه لأجلك يا زيد، وهو جاهز لتعمل معه بأقرب وقت، وقال لي أيضاً أنه سيتكفل بكل الأمور المالية حتى تصل أنت إليه، وهو مسرور وفرحٌ أيضاً، لأنه كان يبحث عن موظف يعمل معه.

زيد: إذاً تيسّر سفري إليه، وأيضاً عملي معه، صحيح؟.

رعد: بالطبع صحيح، ومتى أنت مستعد للسفر؟.

زيد: أنا جاهز متى شئت ومتى شاء صديقك، وإذا كان صديقك مستعجل، فما رأيك أن أذهب غداً؟.

رعد: نسيت أن أقول لك عن حياة صديقي، وما هي صفاته.

زيد: حسناً، أنا جاهز للاستماع إليك تفضل.

وبدأ رعد يقول عن صديقه لزيد، وزيد يصغي إليه، وقال: إن صديقي اسمه (بسّام)، رجل يحب الحضارة والرقي، يحب الشخصيات المهمة، وهو أكبر رجل أعمال في تلك البلاد، وصاحب أكبر شركة سيارات لصنع السيارات الفخمة، وهو معروف في كل تلك البلاد، ما عليك إلا أن تسأل أين قصر بسّام؟ وسيدلونك على

قصره، يسامح على كل شيء إلا شيئاً واحداً فقط وهو الكذب، فما أشد كراهة له!، وكلما مرّت عليه صفقة ما، يكسبها ويفوز فيها بدون ما أحد يدري ما الذي فعله، رجل وضع كل الذكاء في العالم في جيبه، لا يخفى عليه شيء صغير، ولو قلت لك من الآن لغدٍ، فلن أحصي صفاته.

زيد متعجباً: ما شاء الله تعالى كل هذه الصفات؟!.

رعد: نعم وأكثر من ذلك، ما رأيك أن أتصل به الآن؟.

زيد: يا ليت إنني أتمنى ذلك.

ويقوم رعد للاتصال ببسّام، وبعد انتظار دام خمس دقائق، ليوصل عمال الاتصالات الخاصين ببسّام، إلى مكتب بسّام الخاص، تحدث رعد مع بسّام حديثاً طويلاً، وزيد جالساً على نار، أما رعد فهو يخفف دمَّه مع بسّام، ويلعب بأعصاب زيد، وأخيراً بعد ربع ساعة من الحديث فتح رعد موضوع زيد، ثم وافق بسّام على توظيف زيد، بعدما أقنع رعد بسّاماً بأن زيداً يُسند الظَّهْرُ عليه، ويُعتمد عليه في الأمور الصعبة، وأخبر بسّام رعداً بأن يسافر زيدٌ بعد يومين، وسيبعث طائرته المروحية إلى الشركة التي يعمل فيها زيد ورعد، ليسافر فيها زيد إلى بسّام، ثم أغلق رعد سماعة الهاتف بعد انتهاء المكالمة، وحدّث زيداً بما جرى بينه وبين بسّام، فطار عقلُ زيدٍ بأكمله، من شدة الفرح والسعادة، فشكر زيد رعداً كثير الشكر والتقدير، فذهب إلى مكتب المدير، ليقدم استقالته من عمله المتخلّف، ثم وافق المدير على استقالة زيد بعد الرجاء الكثير، فحمد اللهَ تعالى زيدٌ، وذهب إلى بيته، ليجهز أغراضه إلى السفر الأبديّ، وخطط إلى الذهاب إلى سوق شراء أثاث المنازل وأغراضه، لأنه ينوي بأن لن يعود إلى بلده مرة أخرى حتى لو حلّ له مالٌ أكثر من مال قارون بذاته، وأخذ يطير في أمانيه اللانهائية، وهو يقول: أريد سيارةً ضخمة، أريد منزلاً فخماً، أريد أن أتزوج، أريد أن أملك سوقاً كبيراً لبيع كل أنواع مستلزمات المنزل،

أريد.....

أريد.....

أريد.....

وظل هكذا يحلم حتى تعب فنام. فوا رباه من عامر الذي ظل يفكر تفكيراً حزيناً بائساً، لأنه يخاف على زيد كثيراً ويحس بأنه ما يزال لا يعلم ماذا يجري من حوله، ولكن زيداً لم يخبر عامراً بأنه سيسافر، ولكن عامراً كأن عنده حاسة سادسة تعلم ماذا سيحدث بالمستقبل، لأن عامراً يتذكر زيداً عندما كانا في عمر السادسة عشرة، وكان زيداً يتبع هواه، ويتبع أي واحد يقول له أي شيء، إن كان هذا الشيء صحيحاً أم خطأً، فيمشي في هذا الطريق ولا يفكر فيما سيحدث له في المستقبل، ولكن عامراً قطع أفكاره بالتعوذ من الشيطان الرجيم، وراجياً أنه ما يحدث ذلك إن شاء الله تعالى، وفجأة رن هاتف عامر، فرفع سماعة الهاتف، وقال: السلام عليكم من يتكلم؟.

قال: وعليكم السلام ما بك أنا فادي؟.

عامر: أهلا فادي أنا بخير والحمد لله ولكنني كنت أفكر بأمر لا أريد أن أوجع رأسك فيه.

فادي: حسناً على راحتك، ولكنني أريد أن أقول لك أن وقت الصبر انتهى ونفد تماماً، وأنا أريد أن تُرجع إليّ المال المستدان مني.

عامر: لماذا أنت مستعجل هكذا؟ ألا تصبر قليلاً بعد، أم أنك نسيت السبب الذي دفعني إلى الدّين منك؟

فادي: أنا لست مستعجلاً، ولا ناسياً للسبب، ولكن طال الانتظار كثيراً، وأنا بحاجة إلى المال في هذه الفترة.

عامر: حسناً ما المطلوب مني وأنت تعرف حالي البالية؟.

فادي: مشكلتي أنني رقيق القلب، سأمهلك ثلاثة أيام إضافية من اليوم، وإن لم تُرجع إلي مالي في اليوم الثالث، سيكون المدير حكماً بيني وبينك.

عامر: أنا موافق، وإن شاء الله تعالى سيكون المال في اليوم الثالث.

– هل يستطيع عامر أن يحصل على المال؟ أم لا؟

(١٠)

في اليوم التالي، ذهب فادي إلى المدير، وقصّ عليه القصة التي جرت بينه وبين عامر، واتفق فادي على عامر ليكون المدير ضده، ويرميه في السجن، لأن فادياً كان يحقد على عامر كثيراً، فوجد له ممسكاً يمسكه به، فقد كان السبب أن عامراً رئيس القسم، وفادي ينتظر أي فرصة يوقع بها عامراً، فاستغل فادي صداقته الحميمة القوية بينه وبين المدير،فجاءت الفرصة الذهبية التي لا تتكرر إلا في الأحلام، فقرر أنه لن يضيعها أبداً، ولكي يضع فادي في جيبه المديرَ، وضع في يد المدير مبلغاً كبيراً من المال، فاندهش المدير بذلك، وقبّل المال قُبلة كأنه لم يرَ من قبل مالاً مثله، فقال لفادي: لا تقلق سألقيه في السجن وأنا أعدك.

فادي بعد ابتسامة خبيثة: هذا الذي أنتظره بفارغ الصبر. أما عامر فهو يفكر بمصدر المال الجديد، لكي يسدَّ دينه لفادي، وزيد ذهب إلى باب الشركة التي استقال منها، بعدما باع كل شيء من بيته، وكأنه عاد إلى الصفر لكن الآن معه نقوده من البيع، وما زال ينظر إلى ساعته، ويَعدُّ الثواني مع ساعته، لأنه مستعجل جداً للسفر ومقابلة بسام، وفجأة يسمع زيد صوت مروحية بسام بعد ٣٦٠٠ ثانية من الانتظار، التي تساوي ساعة واحدة، فقال زيد: سبحان الله دقيقون تماماً في الموعد!.

فركب فيها وأقلعت المروحية التي ستغير مجرى حياة زيد وعامر في الآن نفسه، وعامر حتى الآن يفكر وبقي يوم واحد لموعده مع صديقه فادي، ولم يحصل على أي مال، فأتت عليه فكرة وهي الهروب من أنظار الجميع، حتى لا يمسكه أحد، فخرج من منزله بسرعة، وهو يُقفل باب المنزل شاهده جاره، فسلم الجار عليه، فلم يرد عامر عليه، وتعجب الجار من ذلك، فركض عامر كأن أحداً يلحقه، وفي الحقيقة لما شاهده الجار لحقه وتتبع أثره، إلى أن أوداه إلى مكان مهجور، فهرب الجار من ذلك المكان، وترك عامراً على راحته، وعاد إلى منزله، وظل عامراً في ذلك المكان المهجور، إلى أن أشرقت شمس اليوم الثالث الموعود، فبقي هناك ولم

يذهب حتى إلى العمل، فتنبه لغيابه فادي، فراح إلى بيت عامر، وبدأ في طرق باب بيت عامر بقوة وعصبية، فشعر وحس لذلك الجيران، ثم فتح من وراء فادي الجار، فسأل الجار فادياً: ما بالك؟ وماذا تريد أنت؟.
فادي: أنا أريد مقابلة السيد عامر، هل هو موجود في بيته؟.

الجار: كلا إنه هرب إلى مكان مهجور في الأمس.

فادي: مكانٌ مهجور! وماذا يفعل هناك؟.

الجار: لا أدري، ولكن ألا تريد الجواب؟.

فادي: بالطبع، ما هو الجواب؟.

الجار: ما رأيك أن أدلك عليه؟، يمكن أن يعود على يديك.

فادي: حسناً هيا فلنذهب.

وراحا معاً إلى المكان المهجور، المكان الذي يختبئ فيه عامرٌ، وكانا قد أخذا معهما ضوءاً نقالاً، للإضاءة ولإيجاد عامر، وما لم يكن بالحسبان، وجد فادي والجار عامراً نائماً على الأرض بلا غطاءً ولا فِراشاً، فأيقظاه وقام عامر مع فادي إلى الشركة وهو في حالته، حتى أنه لم يوصل فادي الجارَ إلى منزله، ولم يقل له أية كلمة شكر على الأقل، وأخذ عامراً إلى مكتب المدير، وبدأ التحقيق معه، المدير: أهلا وسهلا بعامر بك، أين كنت منذ الأمس؟.

عامر وهو يتلعثم من شدة الخوف والرهبة: أ... نـ ...ا كـ... نـ... تُ .....

المدير: ما بك؟ لماذا هكذا تتكلم؟ تكلم بسرعة.

عامر: فـ...يـ... الـ.... حـ...قـ...يـ...قـ...ة لـ...ا يـ...و...جـ....د مـ...عـ....ي أ...ي مـ...ا.....ل يـ....ا سـ...يـ....د.....ي.

المدير بغضب: ومن قال لك أننا نطالبك بمال؟.

عامر: مـ.....ن طـ...ر...يـ...قـ.....ة فـ...ا....د....ي لـ...أ...خـ....ذ....ه لـ...ي.

المدير: حسناً هل لديك مال لترجعه إلى فادي؟.

عامر: لـ....ا.

المدير: إذاً سيتم أخذك إلى السجن.

عامر: لـ...ا، أ....ر....يـ...د أ....ن أ....تـ....صـ.....ل بـ...ز....يـ...د أ....ر....جـ....و....ك.

المدير: خذ .. لكن لا تتأخر. ويرفع عامر سماعة الهاتف ويتصل برقم بيت زيد، فيجده مُباع، ولكنه تذكر رقم هاتف القسم الذي يعمل به زيد، فاتصل به ورد عليه رعد، فعرّف عامر بنفسه، فسأل رعداً أين زيد الآن، فقصّ رعدٌ له ما جرى بين زيد وبسام وبينه، ثم أغلق عامر سماعة الهاتف، وهو الآن في أتم استسلامه بين يدي المدير وفادي.

- ماذا سيحدث مع عامر بعد ذلك؟ وماذا سيكون اللقاء مع بسام وزيد؟

(١١)

وأغلق عامر سماعة الهاتف، بعدما فقَدَ كل الآمال التي تؤدي إلى النفاذ من هذا الموقف.

فسأله المدير: ما الذي حصل لك؟ فلم يجاوب عليه عامر، فكرر له السؤال نفسه: ما الذي حصل لك؟ وأيضاً لم يجاوب عليه عامر، وفي المرة الثالثة كرر المدير نفس السؤال: ما الذي حصل لك؟ فجاوبه عامر بصوت خافت بدون تلعثم: خذوني إلى حيثما شئتما، فلا ينفع معي الآن أي شيء معكما.

فتبسم فادي وقال في نفسه: إلى اللقاء يا عامر مدير القسم، فاتصل المدير بالشرطة للقدوم لأخذ عامر إلى استجوابه، ومحاكمته في المحكمة. وبعد الاستجواب، اعترف عامر على كل ما حصل معه بينه وبين زيد صديقه القديم، وخيانته وهروبه بالنقود هرباً لا عودة له، فحاكمته المحكمة بالسجن لمدة سنة كاملة، ولكن هذه المدة لم يتحملها بسبب القهر والظلم في نفسه، فأدى ذلك أنه أصبح فاقداً للعقل، فنُقِل إلى مستشفى الأمراض العقلية، وقضى كل عمره هناك إلى أن مات ميتة الخيانة عليه.

أما زيد فقد قابل بساماً، وتعجب بسامٌ فيه، وارتاح معه، وقضيا معاً وقتاً لا مثيل له، ثم عيّن بسامٌ زيداً منصباً ليس له أخاً في الشركة العظمى، ودلله دلالاً حتى حقق زيدٌ أمانيه كلها وزاد عليها ما يشتهيه هواه، وما تشتهيه نفسه، ونسي وطنه وباعه، وباع كل ما عليه مقابل الرفاهية البسّامية، أما فادي فصار مستشارَ المدير، وكلما يريد المدير أن يأتي بمشروع، كان فادي المخطط الأول له، فيحوز على الهدايا والترقيات من المدير، وأي حركة لجسمه يريد المدير أن يحركه، كان فادي المفكر الذي يفكر من أين يحرك الجسم حركة صحيحة، تؤدي إلى المنفعة له وللمدير فقط.

بينما رعد كان اسم على مسمى رعد بذاته، يصرف ذاك عن وجهه مثلما صرف زيداً عن وجهه، حتى يصل إلى المدير، ويحقق حلمه في الاستيلاء على كرسي الحكم، ويجلس إلى الموت بلا انتخابات جديدة، ولا وراثة للأبناء ولا للحفيد والحفيدة، فيغير منهج الشركة من الألف إلى الياء، فيقضي على الدواء باستخدام الداء، فتنقلب الآية، وتصير النهاية.

تمّت

****